مخاطر اللعب على «حافة الهاوية» بين واشنطن وطهران

د. محمد السعيد إدريس
مستشار مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية

لم يعد منطقياً السؤال: هل يمكن أن تندلع «حرب إقليمية» في الشرق الأوسط، تتورط فيها الولايات المتحدة الأمريكية مع إيران في مواجهة مباشرة ، بالتزامن أو بموازاة الحرب المتفجرة منذ خمسة أشهر في قطاع غزة عقب هجوم «طوفان الأقصى» في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ بين إسرائيل وقوى المقاومة الفلسطينية (خاصة حركتي «حماس» و«الجهاد الإسلامي»). فالولايات المتحدة متورطة فعلياً في حرب غزة منذ تفجرها إلى جانب كيان الاحتلال الإسرائيلي، وإيران تقف داعمة لحلفائها في لبنان واليمن والعراق حرصاً على وقف حرب الإبادة الجماعية التى تخوضها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة بدعم ورعاية أمريكية.

المنطقي فعلياً هو أن نتساءل هل يمكن أن تتحول الحرب «غير المباشرة» المتفجرة حالياً بين الولايات المتحدة وإيران عبر حلفائها إلى حرب إقليمية مباشرة بين الولايات المتحدة وإيران ، وما هى الضوابط الحاكمة للحرب «غير المباشرة» الحالية والتى تحول دون تحولها إلى حرب إقليمية شاملة؟ وهل يمكن أن تسقط هذه الضوابط أو بعضها؟ وما تأثير ذلك على الشرق الأوسط وعلى الأخص مستقبل الوجود الأمريكي؟

١- طوفان الإقصى والحرب الإقليمية

منذ تفجر هجوم «طوفان الأقصى» والأنظار تتجه نحو إيران في ظل حملة دعائية إسرائيلية – أمريكية مكثفة تعجلت في اتهام إيران وتحميلها مسؤولية هذا الهجوم . وعندما لم تتكشف أية دلائل تؤكد هذا الاتهام،

تحـول الحديـث الإسرائيـلي إلى اتهـام إيـران بالمسـؤولية عـن الهجـوم لأنهـا مـن قـام بتسـليح وتدريـب مقاتـلي حركـة «حـماس» ، وأنهـا مـن خطـط لهـذا الهجـوم .

والهـدف هـو دفـع الولايـات المتحـدة للتـورط في حـرب ضـد إيـران. فالحـرب ضـد إيـران، او الحـرب الإقليميـة، كانـت ومازالـت طموحـاً يـراود قـادة إسرائيل. وجـاء هجـوم «طوفـان الأقـصى» ومـن بعـده تفجـر الأحـداث في البحـر الأحمـر عنـد بـاب المنـدب ودخـول الجماعـة الحوثيـة طرفـاً في الحـرب ضـد إسرائيـل ليشـكل فرصـة مواتيـة لدفـع الولايـات المتحـدة للدخـول كطـرف مبـاشر في الحـرب خاصـة عقـب تعـرض قطـع بحريـة أمريكيـة وبريطانيـة للهجـوم، بعـد أن تبـدد طمـوح بنيامـين نتنياهـو رئيـس الحكومـة الإسرائيليـة في تشـكيل «تحالـف دولي للحـرب ضـد حركـة (حـماس)» عـلى غـرار ذلـك التحالـف الـدولي الـذى تشـكل عـام ١٩٩٠ للحـرب ضـد العـراق وتحريـر الكويـت مـن الغـزو العراقـي.

طمـوح إسرائيـل للدفـع بالولايـات المتحـدة للدخـول كطـرف مبـاشر في حـرب ضـد إيـران تأكـد بعـد الهجـوم الـذى تعرضـت لـه قاعـدة عسـكرية أمريكيـة تقـع شـمال شرق الأردن عـلى الحـدود مـع سـوريا تحمـل اسـم «الـبرج ٢٢» مـن طائـرة مسـيرة وأدى إلى سـقوط ٣ عسـكريين أمريكيـين قتـلى وأكـثر مـن ٤٠ جريحـاً (٢٠٢٤/١/٢٨) ، خصوصـاً بعـد أن أكـدت القيـادة السياسـية والعسـكرية الأمريكيـة أن الـرد عـلى هـذا الهجـوم أضحـى مؤكـداً وهـو مـا حصـل مسـاء الجمعـة فجـر السـبت (٢٠٢٤/٢/٣)، الأمـر الـذى دفـع بالسـؤال المهـم: هـل باتـت الحـرب الإقليميـة أمـراً حتميـاً أم أن الإدارة الأمريكيـة سـتكون حريصـة عـلى تجنـب حـدوث هـذه الحـرب، خصوصـاً وأن إيـران كانـت شـديدة الحرص عـلى النـأي بالنفـس عـن الهجـوم الـذى تعرضـت لـه القاعـدة العسـكرية الأمريكيـة، كـما أبـدت كل مـن روسـيا والصـين اهتمامـاً بمنـع حـدوث مثـل تلـك الحـرب، وانحازتـا إلى «خيـار التهدئـة»؟

السـؤال نفسـه سـبق طرحـه عقـب إعـلان وزيـر الدفـاع الأمريكي لويد أوسـتن مـن البحريـن (٢٠٢٣/١٢/١٨) عمليـة متعـددة الجنسـيات «لحمايـة التجـارة في البحـر الأحمـر» في أعقـاب سلسـلة مـن الهجـمات الصاروخيـة وبطائرات مسـيرة شـنتها قـوات «أنصـار اللـه» (الحوثيـة اليمنيـة). وقـال أوسـتن مـن البحريـن في بيـان : «هـذا تحـد دولي يتطلـب عمـلاً جماعيـاً.. ولذلـك أعلـن اليـوم عـن إطـلاق (عمليـة حـارس الازدهـار)، وهـى مبـادرة أمنيـة مهمـة جديـدة متعددة الجنسـيات»، وهـي المبـادرة التـى كشـف لويـد أوسـتن عـن الـدول المشـاركة فيهـا وتضـم بريطانيـا وكنـدا وفرنسـا وإيطاليـا وهولنـدا والنرويـج وإسـبانيا ومملكـة البحريـن إضافـة إلى سيشـل. وبعـد توجيـه هـذا «التحالـف» الجديـد إنـذاراً في بدايـة العـام الجديـد يحـذر «الحوثيـين» مـن مغبـة مواجهـة «عواقب وخيمـة» في حـال اسـتمروا في إطـلاق الصواريـخ والمسـيرات عـلى السـفن في البحـر الأحمـر، وبعـد صـدور قـرار مـن مجلـس الأمـن الـدولي (٢٠٢٤/١/١٠) لم تسـتخدم فيـه أيـاً مـن الصيـن أو روسـيا حـق الفيتـو لاعتراضـه يدعـو الحوثيـين لوقـف هجماتهـم مـا يعنـى أن بكـين وموسـكو غـير ممانعتـين لتوجيـه ضربـات صاروخيـة ضـد الحوثيـين تفاقمـت المخـاوف مـن احتـمالات الذهـاب نحـو تصعيـد إقليمـي واسـع بـين الولايـات المتحـدة وإيـران.

مخـاوف هـذا الصـدام تفاقمـت ابتـداء مـن منتصـف شـهر فبرايـر ٢٠٢٤ بعـد تصعيـد إسرائيـل و»حـزب اللـه» الاشـتباكات بينهـما وتجـاوز «قواعد الاشـتباك» المتعـارف عليهـا بـين الطرفـين وتهديـد رئيـس الأركان الإسرائيـلي «هيرتـسي هاليفـي» (٢٠٢٤/٢/١٤) بأنـه «في حـال انـدلاع حـرب في الشـمال عـلى الحـدود مـع لبنـان فـإن الجيـش سيسـتخدم كل الأدوات والقـدرات التـي يملكهـا». وتوسـيع إسرائيـل ضرباتهـا في عمـق الجنـوب اللبنـاني واغتيال قيادات عسـكرية تنتمـي إلى «حـزب اللـه» . هـذا التصعيـد في الجنـوب اللبنـاني ، مـع غليـان الأوضـاع داخـل جبهـة قطـاع غـزة وخاصـة التهديـدات العسـكرية باقتحـام مدينـة رفـح بـكل مـا يعنيـه ذلـك مـن مخاطـر هائلـة، وربـط قيـادة «حـزب

الله» بين تصعيد عملياتها ضد إسرائيل بالتصعيد الإسرائيلي ضد قطاع غزة ، كل هذا فاقم من مخاطر احتمال التورط في حرب أمريكية - إيرانية ، إذا قررت إسرائيل شن الحرب على لبنان وإذا ما قررت إيران الدخول المباشر في هذه الحرب دفاعاً عن «حزب الله»، ومن ثم ستجد الولايات المتحدة نفسها طرفاً مباشراً في حرب ضد إيران دفاعاً عن إسرائيل ، الأمر الذى كانت ومازالت إسرائيل تطمح إليه.

وفق كل هذه التطورات فإن خيار «الحرب المحدودة» أو «الحرب غير المباشرة» التى تدور حالياً بين الولايات المتحدة وإيران تبقى على «حافة الهاوية» أمام حدوث أي تطور مفاجئ يتجاوز كل الضوابط الأمريكية والإيرانية التى تحكم استمرارية الانضباط ضمن حدود «الحرب غير المباشرة».

٢- الضوابط الأمريكية للحرب المحدودة - غير المباشرة

منذ هجوم «طوفان الأقصى» ومردوده شديد القسوة على كيان الاحتلال الإسرائيلي وضعت الإدارة الأمريكية لنفسها ثلاثة أهداف ضمن قرارها الدفاع عن إسرائيل والحيلولة دون سقوطها على نحو ما أكد الرئيس الأمريكي جو بايدن ؛ أول هذه الأهداف هو الدفع بمساعدات أمريكية كبيرة لإسرائيل ، وحشد الرأي العام الأمريكي وراء مساندة إسرائيل وحقها في الدفاع عن نفسها ، وتبرير الاجتياح العسكري لقطاع غزة، وتبرير العمليات العسكرية الإسرائيلية التى وصلت إلى حد «الإبادة الجماعية»، ومنع كل محاولة لوقف الحرب الإسرائيلية على القطاع قبل أن تحقق إسرائيل أهدافها التي أعلنتها.

ثاني هذه الأهداف هو القضاء على حركة «حماس» وتقديم كل الإسناد المادى والمعنوى اللازم لتحقيق إسرائيل لهذا الهدف، بما فيها تمكين إسرائيل من ملاحقة قادة «حماس» وتدمير مخزونات الأسلحة والذخائر والمتفجرات وتدمير أكبر قدر من البنية التحتية العسكرية للمقاومة في قطاع غزة .

ثالث هذه الأهداف، وهو هدف يرتبط بالهدفين السابقين ولا ينعزل

عنهما وهو منع إيران و»حزب الله» وباقي حلفاء إيران في اليمن والعراق من استغلال الحرب الدائرة في غزة لشن هجمات على إسرائيل ، وذلك عبر رسائل تهديد وتحذير مباشرة وغير مباشرة.

ولقد لجأت الإدارة الأمريكية إلى فرض أعلى مستويات الردع الممكنة للحيلولة دون توسيع الحرب، وعزل كل أطراف «محور المقاومة» عنها، لتمكين إسرائيل من تكثيف كل قدراتها العسكرية للحرب في قطاع غزة والقضاء النهائي على حركة «حماس» وتخليق واقع أمني – عسكري جديد يحول دون تعرض إسرائيل مستقبلاً لأي نوع من أنواع التهديد لأمنها من قطاع غزة. لذلك أرسلت الإدارة الأمريكية حاملتي الطائرات ايزنهاور وفورد وهما أقوى أسلحة الترسانة العسكرية الأمريكية إلى الشواطئ المقابلة للساحل اللبناني، في رسالة ردع إلى القوى الإقليمية تستهدف أولاً خلق الظروف المواتية لإسرائيل لتكثيف قدراتها العسكرية ضد قطاع غزة وعدم تشتيتها في حرب أخرى مع «حزب الله» في القطاع الشمالي لكيان الاحتلال، وثانياً منع تفجر حرب إقليمية في المنطقة بين الولايات المتحدة وإيران وحلفائها في ظل ظروف أمريكية غير مواتية للانخراط في مثل هذه الحرب، سواء ما يتعلق بظروف الانتخابات الرئاسية الأمريكية وضغوطها على الرئيس بايدن الذى يعاني من تراجع دعم الرأي العام له وعدم توحد حزبه «الديمقراطي» حوله وتنامي فرص منافسه اللدود دونالد ترامب كمرشح للحزب الجمهوري في هذه الانتخابات أو ما يتعلق بظروف الحرب الأوكرانية وتشتتت التوحد الأوروبي في دعم أوكرانيا، ناهيك عن سخونة الأحداث المتلاحقة في بحر الصين الجنوبي وظروف الانتخابات في تايوان وتفاقم التوتر الأمريكي مع الصين حول هذه التطورات.

واضح مدى الترابط المصلحي بين هذا الهدف الثالث ، أى تحاشي واشنطن وحرصها على تفادي حدوث فلتان في حرب غزة واتساعها لتتحول إلى حرب إقليمية تتورط فيها الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل

ضد إيران وحلفائها في «محور المقاومة». فمثل هذه الحرب سوف تفشل كل ما تسعى إسرائيل إلى تحقيقه في غزة من أهداف، وستحدث تحولات دراماتيكية في مواقف الدول العربية والإقليمية الحريصة على ضبط النفس وعدم الدخول كطرف مباشر في حرب غزة. فالحرب الإقليمية قد تتسع لتطال بعض الأطراف العربية القريبة من إسرائيل وعندها سيكون مشروع واشنطن لتوسيع وتعميق عملية دمج إسرائيل إقليمياً معرضاً للخطر، وفوق هذا كله ستجد واشنطن نفسها متورطة في حرب لا تريدها، علاوة على أن إسرائيل ستكون، في ظل هذه الحرب، أكثر من سيدفعون الأثمان.

صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية ، وهى تتابع بدأب احتمالات حدوث توسيع للحرب الدائرة في غزة وتورط الولايات المتحدة في حرب مع إيران، نشرت تقريراً مهماً أهم محاوره هي:

أ- أن إيران أضحت فجأة، بفعل الفصائل المسلحة الحليفة وبفعل تطورات برنامجها النووي، تشكل تحدياً جديداً للغرب خاصة وأن روسيا والصين تقفان الآن إلى جانبها .

ب- حدث إنهيار لـ «شهر العسل الأمريكي مع إيران» الذى شمل تبادل سجناء ودفع ٦ مليارات دولار لطهران وتعهدات إيران بوقف تطوير برنامجها النووى، بعد هجوم «طوفان الأقصى» وتداعياته الإقليمية، فقد اشتعلت الجبهات الحليفة لإيران ضد إسرائيل ابتداء من جنوب لبنان إلى البحر الأحمر إلى العراق، واستأنفت إيران تخصيب اليورانيوم مجدداً (إلى ٦٠٪) واقتربت من صنع القنبلة الذرية (وفق تقديرات الصحيفة باتت إيران قادرة الآن على صنع ٣ قنابل خلال أسابيع).

جـ- إذا كانت إيران لا تريد التورط حالياً في حرب شاملة تدرك أنها ستكون خاسرة فيها، لكنها تخطط لصراع مع واشنطن «على حافة الهاوية» أي كل ما دون الحرب الشاملة وعلى متسع المنطقة ، وهي واثقة بأنها باتت مدعومة دولياً من الصين وروسيا بتحالفات استراتيجية وشراكات عسكرية

مـع موسـكو ونفطيـة مـع بكـين ، مـا يعنـي أن إيـران لـن تكـون وحدهـا في حالـة تعرضهـا لعـدوان أمريـكي أو إسرائيـلي ، وأن خطـر «تدويـل الـصراع» في مثـل تلـك الظـروف لـن يكـون مسـتحيلاً. وتشـير الصحيفـة إلى أن إيـران باتـت بعـد تطـورات الحـرب الأوكرانيـة وشراكتهـا العسـكرية مـع روسـيا في هـذه الحـرب، باتـت وفـق تقديـرات مركـز الأبحـاث البريطـاني «شـاتام هـاوس» في «وضـع جيـد» وقـادرة عـلى تهديـد المصالـح الأمريكيـة في المنطقـة .

د- عـلى الرغـم مـن تعـدد مصـادر توسـيع فـرص توسـيع حـرب غـزة إلى حـرب إقليميـة وخاصـة حـدوث حـرب باتـت محتملـة بـين إسرائيـل و»حـزب اللـه» إلا أن مـا يقلـق الولايـات المتحـدة هـو البرنامـج النـووي الإيـراني. فالولايـات المتحـدة إذا دخلـت حربـا ضـد إيـران سـيكون الدافـع هـو البرنامـج النـووي وليـس أي سـبب آ خـر. فـما يقلـق أمريـكا الآن، وفـق تقديـرات الصحيفـة، هـو البرنامـج النـووى الإيـراني الـذى قـد يتسـبب بالفعـل في مواجهـة مبـاشرة بـين أمريـكا وإيـران، خاصـة إذا مـا تأكـدت التقديـرات التـي تقـول أن إيـران باتـت أقـرب مـا تكـون الآن إلى صنـع القنبلـة .

وفـق هـذه التقديـرات يتكشـف أن واشـنطن حريصـة عـلى تجنـب توسـيع حـرب غـزة مـن حـرب محـدودة إلى حـرب إقليميـة والصـدام المبـاشر مـع إيـران، وأن واشـنطن، إذا اضطـرت للتـورط في حـرب مـع إيـران سـيكون البرنامج النـووي الإيـراني هـو السـبب الأسـاسي أو المحـدد والضابـط الأسـاسي لمثـل هـذا الخيـار، لذلـك كان وزيـر الدفـاع الأمريـكي لويـد أوسـتن حريصـاً وهـو يهـئ للهجـوم الأمريـكي الـذى نفذتـه الولايـات المتحـدة ضـد مواقـع لفصائـل مواليـة لإيـران في العـراق وسـوريا، عـلى تأكيـد أن واشـنطن «سـتعمل عـلى تجنـب اتسـاع نطـاق الـصراع». وقـال أوسـتن (٢٠٢٤/٢/١) أن «محـور المقاومـة» نفـذ الهجـوم الدامـي ضـد موقـع «الـبرج ٢٢» عـلى الحـدود الأردنيـة - السـورية «ومـن غـير الواضـح مـدى علـم إيـران بـه، ولكنهـم يقومـون بتدريـب وتمويـل هـذه الجماعـات». كـما نقلـت شـبكة «سي.بي.اس» الأمريكيـة عـن مسـئولين

أمريكيـين قولهـم أن «إدارة الرئيـس بايـدن لا تسـعى إلى حـرب مـع إيـران حتـى مـع تزايـد ضغـوط الجمهوريـين عليهـا لـترد بقـوة».

وبعـد قيـام الولايـات المتحـدة بتوجيـه تلـك الضربـات التـي اسـتهدفت ٨٥ هدفـاً في سـبعة مواقـع مختلفـة (٣ في العـراق و٤ في سـوريا) بمـا فيهـا مراكـز قياديـة واسـتخباراتية ومرافـق تحتـوي عـلى طائـرات مسيّرة وصواريـخ، (مسـاء الجمعـة – صبـاح السـبت ٢٠٢٤/٢/٣) تـولى جيـك سـوليفان مستشـار الأمـن القومـي الأمريـكي ، في مقابلـة مـع قنـاة «إن بي سي» الأمريكيـة (٢٠٢٤/٢/٣) تحديـد معـالم الموقـف الأمريـكي بـين الحـرب المحـدودة غـير المباشرة والحـرب الإقليميـة الشـاملة عـلى النحـو التـالى:

أ- أنـه وفقـاً لمـا أعلنـه الرئيـس الأمريـكي جـو بايـدن فإنـه «عندمـا تتعـرض القـوات الأمريكيـة لهجـوم فإننـا سـوف نـرد».

ب- أن الضربـات تلـك التـي قامـت بهـا القـوات الأمريكيـة «لـن تكـون نهايـة الأمـر»، وأن الولايـات المتحـدة «تعتـزم شـن ضربـات إضافيـة والقيـام بإجـراءات إضافيـة» لمواصلـة إرسـال رسـالة مفادهـا أنـه «إذا ظلـت أمريـكا تـرى تهديـدات وهجـمات فسـوف تـرد عليهـا»..

جـ- تجنـب سـوليفان تأكيـد أو اسـتبعاد توجيـه ضربـات أمريكيـة داخـل الأراضي الإيرانيـة، وقـال «ليـس مـن الحكمـة مناقشـة مـا سـتقوم بـه أو تسـتبعده الولايـات المتحـدة».

د- في لقـاء آخـر مـع شـبكة سي إن إن» الأمريكيـة حـدد جيـك سـوليفان مـا اعتـبره «مبـدأ الرئيـس بايـدن» وهـو أن «الولايـات المتحـدة سـتصعد وتـرد حينـما تتعـرض قواتنـا لهجـوم. والولايـات المتحـدة لا تتطلـع إلى حـرب أوسـع في منطقـة الـشرق الأوسـط ، ولا نريـد الانجـرار إلى حـرب». وزاد في توضيـح هـذا المبـدأ بالقـول : «سـنواصل اتبـاع سياسـة تسـير عـلى هذيـن الخطـين في وقـت واحـد.. نـرد بقـوة ووضـوح، كـما فعلنـا في ليلـة الجمعـة (٢٠٢٤/٢/٢)ـ ونسـتمر أيضـا في الالتـزام بنهـج لا يدفـع الولايـات المتحـدة إلى التـورط في حـرب

أخـرى، كـما ندافـع عـن مصالحنـا وقواتنـا.. وهـذا مـا سـنواصل القيـام بـه»...
هـذا المبـدأ الـذى أعلنـت إدارة بايـدن الالتـزام بـه يقـف في منتصـف الطريق بـين تياريـن متصارعين في واشـنطن:
- التيـار الأول: تبنـى سـيناريوهات التشـدد ضـد مـا يسـمونه بــ «وكلاء إيران» مـن فصائـل «المقاومـة الإسـلامية» العراقيـة بـل أعطـى هـذا التيـار الأولويـة لـضرب إيـران نفسـها وداخـل الأراضي الإيرانيـة ، وهنـا نتلمـس عمـق التأثـير الإسرائيـلي عـلى خيـارات هـذا التيـار، حيـث يعمـل رئيـس الحكومـة الإسرائيلية بنيامـين نتنياهـو عـلى توريـط الولايـات المتحـدة في حـرب ضـد إيـران مازالـت تمثـل أفضـل خياراتـه للتخلـص مـن «العـدو الإيـراني».
فقـد سـارع الجمهوريـون بالـذات إلى الإعـراب عـن سـخطهم الشـديد لسـقوط ضحايـا أمريكيـين وانتقادهـم الشـديد لمـا أسـموه بــ «سياسـة بايـدن الليـنـة» تجـاه إيـران، واتهمـه بعضهـم بالتسـبب في زيـادة الهجـمات ضـد القـوات الأمريكيـة بسـبب عـدم اتخـاذه قـراراً صارمـاً للـرد بحـزم وبشـكل مبـاشر عـلى إيـران، وهـي خطـوة يـتردد الرئيـس بايـدن في اتخاذهـا خشـية إشـعال فتيـل حـرب أوسـع نطاقـاً. فقـد اعتـبر رئيـس لجنـة الشـؤون الخارجيـة في مجلـس النـواب مايـك ماكـول أن «سياسـة إدارة بايـدن الفاشـلة في الـشرق الأوسـط دمـرت سياسـة الـردع الأمريكيـة ضـد خصومنـا في الـشرق الأوسـط». أمـا السـيناتور لينـدسي جراهـام فـكان أكـثر حـدة حيـث دعـا إلى «اسـتهداف إيـران بشـكل مبـاشر»، وقـال في بيـان «يمكـن لإدارة بايـدن اسـتهداف كل وكلاء إيـران لكـن هـذا لـن يوقـف الاعتـداءات الإيرانيـة» ووجـه الحديـث إلى الرئيـس الأمريـكي قائـلاً: «أنـا أدعـو إدارة بايـدن إلى ضرب أهـداف مهمـة داخـل إيـران، ليـس فقـط للـرد عـلى قتـل قواتنـا بـل للـردع ضـد أي اعتـداءات مسـتقبلية». كـما دعـا النائـب الجمهـوري «مايـك روجـرز» الـذى يـرأس لجنـة الرقابـة العسـكرية الأمريكيـة في مجلـس النـواب إلى «إتخـاذ إجـراء صـارم ضـد إيـران»، وقـال «لابـد مـن محاسـبة النظـام الإيـراني الإرهـابي وحلفائـه المتطرفـين».

-التيـار الثـاني: عـبر عـن مواقـف الديمقراطيـين، وكان أكـثر تحفظـاً في تبنـي سياسـات متشـددة واكتفـى زعيمهـم في مجلـس النـواب «حكيـم جيفريـز» بالقـول: «يجـب أن يحمـل المسـؤولية كل عنـصر مسـئول عـن الاعتـداءات». وعـبرت بعـض المواقـف الديمقراطيـة عـن قلقهـا مـن فشـل اسـتراتيجية بايـدن لاحتـواء الـصراع في قطـاع غـزة، عـلى نحـو مـا تحدثـت صحيفـة «وول سـتريت جورنـال» التـى أعطـت الأولويـة لإنهـاء الحـرب في غـزة . فقـد أرجعـت الصحيفـة اشـتعال فتيـل الـصراع بـين الولايـات المتحـدة والفصائـل العراقيـة الموالية لإيـران إلى «الحـرب التـى تشـنها إسرائيـل عـلى قطـاع غـزة».

اختـار الرئيـس بايـدن خيـاراً وسـطاً فقـد حرص على تجنـب الصدام مـع إيران، ضمـن حرصـه عـلى الحيلولـة دون تفجـير حـرب إقليميـة في المنطقـة، لكنه وجه ضربـات موجعـة لمواقـع فصائل مواليـة لإيران في العراق وسـوريا مسـاء الجمعة – صبـاح السـبت (٢ و٢٠٢٤/٢/٣) ، وأكـد مستشـاره للأمـن القومـي أن الولايات المتحـدة «تعتـزم شـن ضربـات إضافيـة ضـد الجماعـات المدعومـة مـن إيـران».

هـل سـيصمد «خيـار الحـل الوسـط» هـذا في حـال تجـدد الهجـوم عـلى القـوات والقواعـد الأمريكيـة وإلى متـى؟ أم أن «الحـرب الإقليميـة» أضحـت خيـاراً حتميـاً لا مفـر منـه؟.

٣- الضوابط الإيرانية للحرب المحدودة غير المباشرة

الإجابـة عـلى السـؤال السـابق تكمـن ، في أحـد جوانبهـا، في محـددات الموقـف الإيـراني مـن الالتـزام بخيـار «الحـرب المحـدودة – غـير المبـاشرة» مـع واشـنطن. فـإذا كانـت إيـران لا تـرى نفسـها معنيـة أو ملتزمـة بهـذا الخيـار، وأنها لديهـا دوافـع وحوافـز تشـجعها للتـورط في حـرب إقليميـة واسـعة مـع واشـنطن ، فـإن واشـنطن ستسـقط حتـماً ضوابطهـا بخيـار الحـرب المحـدودة ، وتندفـع نحـو خيـار الحـرب الموسـعة الإقليميـة ضـد إيـران وحلفائهـا في المنطقـة ، لذلـك فـإن الإجابـة المنطقيـة عـلى ذلـك السـؤال المشـار إليـه هـي أن الموقـف الإيـراني سـيكون أهـم محـددات الموقـف الأمريـكي مـن الالتـزام أو

عـدم الالتـزام بخيـار «الحـرب المحـدودة» لكـن الموقـف الإيـراني هـو الآخـر لـه محدداتـه التـي تحكـم مسـاراته، ورغـم تعـدد هـذه المحـددات التـى بلـورت الموقـف الإيـراني مـن أهـم محطـات الـصراع الحـالي في قطـاع غـزة ، وفي جنـوب لبنـان وفي البحـر الأحمـر حيـث الوجـود اليمنـي البـارز وفي العـراق فـإن الـردع الأمريـكي الحاسـم لعـب الـدور الأهـم في بلـورة الموقـف الإيـراني مـن الـصراع الـذى تجسـد في معادلـة الحـرص عـلى تجنـب الحـرب الشـاملة مـع الولايـات المتحـدة دون تقاعـس أو تـردد عـن خـوض المواجهـة غـير المبـاشرة مـع الولايات المتحـدة عـبر حلفائهـا والوصـول بهـا إلى «حافـة الهاويـة»، في رسـالة مهمـة إلى الولايـات المتحـدة ، تقـول أنـه في ظـروف محـددة لـن تـتردد إيـران عـن خـوض المواجهـة المبـاشرة وتوسـيع دائـرة الحـرب الراهنـة إلى «حـرب إقليميـة شـاملة» وهـذه الظـروف تتحـدد في التـورط الأمريـكي في الاعتـداء المبـاشر عـلى الأراضي الإيرانيـة وعـلى البرنامـج النـووي الإيـراني، ومـا دون ذلـك يمكـن أن تتـم إدارتـه ضمـن معادلـة «الحـرب المحـدودة غـير المبـاشرة»، حتـى لـو وصلـت إلى «حافـة الهاويـة» أو التلويـح بهـا كـما يحـدث ويتكـرر عـلى ألسـنة كبـار القـادة في «الحـرس الثـورى» عـلى وجـه الخصـوص .

ففـي لحظـة مـن أشـد اللحظـات الحرجـة بـين إيـران والولايـات المتحـدة التـى أعقبـت الهجـوم الـذى شـنته فصائـل تابعـة لــ «المقاومـة الإسـلامية في العـراق» الموالية لطهـران عـلى قاعـدة «الـبرج-٢٢» التابعـة للولايـات المتحـدة عـلى الحـدود الأردنيـة - السـورية (٢٠٢٤/١/٢٨) وامتـدت إلى يـوم تنفيـذ الولايـات المتحـدة ضرباتهـا عـلى مواقـع تابعـة لفصائـل حليفـة لإيـران في العـراق وسـوريا (٢-٢٠٢٤/٢/٣) ، كانـت القيـادة الإيرانيـة مشـغولة بتحديـد معـالم الضربـة الأمريكيـة التـى جـرى تأكيدهـا عـلى لسـان الرئيـس الأمريـكي جـو بايـدن وكبـار مسـاعديه: «هـل سـتكتفي واشـنطن بـضرب الفصائـل المسئولة عـن شـن الهجـوم عـلى قاعـدة «الـبرج- ٢٢» الأمريكيـة أم يمكـن أن تمتـد هـذه الضربـة إلى إيـران؟

الملاحظ أن الاهتمام الإيراني لم يقتصر فقط على كبار القادة السياسيين والعسكريين الذين انشغلوا بتحديد كيف سيكون الرد الإيراني إذا تعرضت إيران إلى اعتداء أمريكي، لكن الاهتمام شغل قطاعاً واسعاً من الرأي العام الإيراني عبر عن خشيته من التعرض لاعتداء أمريكي والتورط الإيراني في حرب مع الولايات المتحدة . لذلك حاول الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي (٢٠٢٤/٢/١) طمأنة الإيرانيين بشأن المخاوف من حرب مباشرة مع الولايات المتحدة، وقال أن بلاده «سترد بقوة على كل من يحاول أن يستأسد عليها» مشيراً أن «خيار الحرب لم يعد مطروحاً على طاولة الأعداء» موضحاً أن سبب ذلك هو «قوة الردع الإيرانية». وهنا بالتحديد تتكشف معالم معادلة جديدة لتوازن القوى بين إيران والولايات المتحدة أبرزها قناعة إيران بأنها وصلت مع واشنطن إلى «توازن الردع المتبادل»، وهو التوازن الذى سوف يكتسب المزيد من المصداقية في حال نجاح إيران في فرض نفسها «قوة نووية»، وهو طموح لم يعد بعيد المنال، ويعكس نفسه عادة على تصريحات كبار القادة السياسيين والعسكريين.

الرئيس الإيراني وهو يلمح بامتلاك إيران «لقوة الردع» للرد على أي اعتداء، كان حريصاً على أن يقول في كلمته التي بثها التليفزيون الإيراني «لن نبدأ أي حرب». والمعنى ذاته عبر عنه وزير الخارجية حسين أمير عبد اللهيان عندما دعا الولايات المتحدة (الأربعاء ٢٠٢٤/١/٣١) إلى «الكف عن استخدام لغة التهديد» ، و» التركيز على التوصل إلى حل سياسي». وفي اليوم نفسه حذر قائد الحرس الثوري الإيراني «حسين سلامي» من أن إيران «مستعدة للرد على أي هجوم» وخاطب الأمريكيين قائلاً : «نسمع تهديدات من المسئولين الأمريكيين.. نقول لهم إنكم اختبرتمونا بالفعل ، ونعرف بعضنا بعضاً الآن.. لن نترك أي تهديد دون رد»..

ورغم أهمية كل هذه التصريحات التي حددت معالم الموقف الإيراني من أي تهديد أمريكي محتمل باعتبار إيران شريكة أو مسئولة عن الهجوم

الـذى تعرضـت لـه القاعـدة العسـكرية الأمريكيـة (الـبرج - ٢٢) ، وهـى معـالم تـدور ضمـن معادلـة ثنائيـة هـي: الحـرص عـلى تجنـب التـورط في حـرب مـع الولايـات المتحـدة، وتأكيـد القـدرة عـلى الـرد الحاسـم عـلى أي اعتـداء، لكـن الموقـف الـذى أعلنـه المرشـد الأعـلى للجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة السـيد عـلى الخامنئـي كان الأكـثر حسـماً لمعـالم هـذه المعادلـة ، وفـق مـا نقلتـه صحيفـة «نيويـورك تايمـز» الأمريكيـة. التـى تحدثـت (٢٠٢٤/٢/١) عـن اجتـماع طـارئ عقـده «المجلـس الأعـلى للأمـن القومـي الإيـراني» ناقـش احتـمالات وسـيناريوهات الـرد الأمريـكي المتوقعـة رداً عـلى الهجـوم الـذى تعرضـت لـه تلـك القاعـدة الأمريكيـة، وأنـه تـم نقـل محصلـة ذلـك الاجتـماع إلى المرشـد الأعـلى (الاثنـين ٢٠٢٤/١/٢٩) وقـد رد بأوامـر واضحـة: «تجنـب حـرب مبـاشرة مـع الولايـات المتحـدة، والنـأي بإيـران عـن تصرفـات الجماعـات المسـلحة .. لكـن اسـتعدوا للـرد إذا ضربـت الولايـات المتحـدة إيـران».

ونقلـت الصحيفـة الأمريكيـة عـن مصـدر مقـرب مـن مكتـب المرشـد الأعـلى أن «خامنئـي أخـبر المقربـين منـه أنـه يعـارض الحـرب لأن الحفـاظ عـلى قبضـة النظـام عـلى السـلطة هـي الأولويـة القصـوى، والحـرب ، إذا وقعـت مـع إيـران ، سـتصرف أنظـار العـالم عـن الكارثـة الإنسـانية في غـزة».

تعبـير الحفـاظ عـلى قبضـة النظـام تعنـي هنـا الحفـاظ عـلى اسـتمرارية ونجـاح مـشروع «الجمهوريـة الإسـلامية» ، لأن ذلـك هـو عنـوان نجـاح تجربـة الثـورة في إيـران. وهـو هنـا يشـمل الحفـاظ عـلى البرنامـج النـووي حتـى يكتمـل وتصبـح إيـران قـوة نوويـة، عندهـا سـوف تفلـت مـن دائـرة التهديـد الأمريـكي - الإسرائيـلي، لأن امتـلاك «الـردع النـووى» قـوة لا يسـتهان بهـا، إضافـة إلى الحفـاظ عـلى القـدرات العسـكرية والصناعيـة دون تدمـير كي تسـتطيع إيـران أن تصبـح قـوة إقليميـة كـبرى ضمـن معادلـة التوازنـات الدوليـة وهـذا مـا تفعلـه حاليـا مـع كل مـن الصـين وروسـيا عـبر تحالفـات ومعاهـدات اسـتراتيجية وعـبر شراكـة إيرانيـة - روسـية - صينيـة مشـتركة في «منظمـة شـنغهاي للتعـاون» وهـي

منظمـة ذات اهتمامـات أمنيـة وعسـكرية ، وفي «مجموعـة بريكـس» وهـي منظمـة اقتصاديـة عالميـة، لذلـك لم يكـن غريبـاً أن تتوجـه الولايـات المتحـدة إلى الصـين كي تقنـع إيـران بالضغـط عـلى حلفائهـا الحوثيـين في اليمـن للتوقـف عـن تهديـد الملاحـة في بـاب المنـدب والبحـر الأحمـر، ولم يكـن غريبـا أن يعلـن الرئيـس الأمريـكي جـو بايـدن عـن توجيـه رسـالة مهمـة إلى إيـران في الأسـابيع السـتة سـبقت الضربـات الأمريكيـة للقواعـد التابعـة للفصائـل الموالية لإيـران في العـراق وسـوريا، وفي أوج سـخونة الأوضـاع في البحـر الأحمـر وبـاب المنـدب .

الرسـالة الأمريكيـة التـى تحـدث عنهـا الرئيـس الأمريـكي جـو بايـدن إلى إيران، ذكـر أنهـا سـلمت لإيـران عـبر عاصمـة خليجيـة عشـية زيـارة انتـوني بلينكـن وزيـر الخارجيـة الأمريـكي في جولتـه الخامسـة بالمنطقـة (ينايـر ٢٠٢٤) التـي زار فيهـا إسرائيـل والسـعودية والإمـارات والأردن والسـلطة الفلسـطينية وقطـر ومـصر.

التزامـن بـين تسـليم الرسـالة الأمريكيـة لإيـران عـبر الدولـة الخليجيـة وجولـة بلينكـن الخامسـة بالمنطقـة شـديد الأهميـة مـن منظـور محتـوى هـذه الرسـالة مـن ناحيـة ومـن منظـور الأهـداف الثلاثـة الـذى سـعى بلينكـن إلى تحقيقهـا والترويـج لهـا خـلال هـذه الجولـة .

وحسـب مـا جـرى تسريبـه مـن معلومـات عـن مضامـين لقاءاتـه مـع عـدد مـن قـادة المنطقـة فـإن بلينكـن لم يحمـل معـه مشروعـا محـددا لوقـف الحـرب في غـزة . لم يكـن هـذا الأمـر ضمـن أولوياتـه، ولكنـه كان مهمومـا بثلاثـة ملفـات أولهـا عـدم اتسـاع رقعـة الحـرب، أي عـدم تحـول الحـرب في غـزة إلى حـرب إقليميـة واسـعة بدخـول إيـراني مبـاشر أو غـير مبـاشر عـبر الحلفـاء. وثانيهـا تبـادل الأسرى والمعتقلـين بـين حركـة «حـماس» وإسرائيـل، أي أنـه كان يحمـل «الهـم الإسرائيـلي»، الـذى يكتسـب أولويـة قصـوى وهـو اسـتلام إسرائيـل لأسراهـا عنـد «حـماس» ، وثالثهـا طـرح فكـرة «اليـوم الآخـر» الـذى سـيلي وقـف الحـرب في غـزة ومعـالم غـزة بعـد هـذه الحـرب وكل مـا يتعلـق بالقضيـة الفلسـطينية .

وهنـا كان حـرص انتـوني بلينكـن ، مدعومـا مـن جيك سـوليفان رئيـس مجلس الأمـن القومـي الأمريـكي بوجـود «فرصـة لدمـج إسرائيـل في النظـام الأمنـي الإقليمـي، وبالتـالى استكمال مسـارع التطبيع ولاسـيما بين الرياض وتـل أبيب «.

أمـا الرسـالة الأمريكيـة التـى أرسـلت إلى طهـران عـبر وسـيط خليجـي فقـد تضمنـت ، حسـب توضيحـات للسـفير الإيـراني في دمشـق حسـين أكـبري «حـلاً سياسـياً شـاملاً لأزمـات المنطقـة شريطـة ضبـط النفـس ومنـع الانـزلاق إلى حـرب إقليميـة شـاملة». وقـد أجابـت إيـران، حسـب مراقبـين إيرانيـين بأنهـا منخرطـة حاليـاً في مسـارين ؛ أولهـما: عـدم اتسـاع رقعـة الحـرب، عكـس مـا يريـده بنيامـين نتنياهـو رئيـس الحكومـة الإسرائيليـة مـن توسـيع الجبهـات وصـولاً إلى حـدوث مواجهـة أمريكيـة - إيرانيـة. وثانيهـما تحقيـق وقـف إطلاق النـار بالسرعـة المطلوبـة لإنقـاذ سـكان غـزة مـن ماكينـة القتـل العسـكرية الإسرائيليـة التـى تمـارس إبـادة بشريـة وإنسـانية في غـزة، والتمكـن السريـع مـن دخـول كافـة المسـاعدات المعيشـية والطبيـة إلى أهـالي غـزة .

هـذا يعنـي أن إيـران غـير مهتمـة حاليـا بالتـسرع الأمريـكي للبحـث في ترتيبـات مـا سـيلي «اليـوم التـالي» لوقـف الحـرب في غـزة، لأن هـذا معنـاه فـرض معادلـة سياسـية - أمنيـة لمسـتقبل غـزة والقضيـة الفلسـطينية تحـت نـيران الإبـادة الإسرائيليـة للشـعب الفلسـطيني وشروط قـادة كيـان الاحتـلال الإسرائيـلي ، وأن إيـران أحـرص عـلى إعطـاء الأولويـة لوقـف الحـرب، ومنـع إسرائيـل مـن فـرض شروطهـا حـول مسـتقبل غـزة ومعهـا مسـتقبل القضيـة الفلسـطينية .

٤- حدود المراهنة على حافة الهاوية

إلى أي مـدى سـيكون في مقـدور كل مـن الولايـات المتحـدة وإيـران المراهنـة عـلى اسـتمرارية حالـة الانضبـاط دون تجـاوز لمعادلـة «حافـة الهاويـة» التـي تفصـل بـين مـا يحـدث بينهـما مـن صراعـات عنـد حدودهـا الراهنـة أي حـدود «الحـرب غـير المباشرة» أو «الحـرب المحـدودة» وعـدم الانزلاق «غـير الطوعـي»

نحـو حـرب إقليميـة واسـعة لا تريدانهـا طالمـا أن كلا منهـما حريـص ، كل الحـرص، عـلى عـدم التـورط في هـذه الحـرب وفـق أسـباب ومصالـح كل منهـما.

متابعـة سرعـة تدافـع الإحـداث على جبهات الـصراع المفتوحة والمشـتعلة تؤكد أن مخاطـر التوسـع إلى حـرب إقليميـة مفتوحـة مـازال محتمـلاً رغم مـا ورد من تأكيـدات وردت عـلى لسـان وزيـر الخارجيـة الإيرانيـة أمير حسـين عبـد اللهيان عنـد زيارتـه للبنـان (فبرايـر ٢٠٢٤) وأبرزهـا قولـه أن إيـران ولبنـان تؤكـدان «أن الحـرب ليسـت هـي الحـل، ولم نكـن نتطلـع إلى توسـيع نطاقهـا» وأن «المنطقـة تسير نحـو الاسـتقرار» رغـم تحذيراتـه مـن أن «كيـان الاحتـلال الصهيـوني يـدق طبـول الحـرب والتهديـد في رفـح لأنـه لم يحقـق أيـاً مـن أهدافـه في غـزة»...

فـرص التـورط في حـرب إقليميـة مازالـت قائمـة أيضـاً رغـم الحـرص الأمريـكي عـلى عـدم الدخـول في مواجهـة مبـاشرة مـع إيـران أو حتـى ضرب مواقـع إيرانيـة بحتـة في كل مـن العـراق وسـوريا، ضمـن هجـوم ١ و٢ فبرايـر الأمريـكي عـلى مواقـع لقـوى مواليـة لإيـران في العـراق وسـوريا. فذلـك الهجـوم لم يطـل أي مـن القواعـد العسـكرية الإيرانيـة ، مثـل قاعـدة «الإمـام عـلى» في منطقـة البوكـمال في الشـمال السـوري وهـي قاعـدة عسـكرية تابعـة للحـرس الثـوري الإيـراني، كان ذلـك الهجـوم أقـرب إلى كونـه «هجومـا رمزيـا» اسـتهدف امتصـاص غضـب الضبـاط والمتشـددين في الحـزب الجمهـوري الأمريـكي الـذي يضغطـون لـضرب إيـران مـن الداخـل وعـدم الاكتفـاء بـضرب «الـوكلاء». إيـران امتصـت هـذا الهجـوم، لكـن اشـتعال الجبهتـين السـورية والعراقيـة ضـد الوجـود العسـكري الأمريـكي مـازال محتمـلا، وربمـا مؤكـدا كـما هـو الحـال عـلى الجبهتـين اللبنانيـة واليمنيـة خصوصـاً إذا اجتاحـت القـوات العسـكرية البريـة الإسرائيليـة مدينـة رفـح المكتظـة بالسـكان لهـول مـا سـيحدث مـن «مذبحـة غـير مسـبوقة» إذا مـا وقـع هـذا الاجتيـاح، خصوصـاً مـع ربـط قـادة الحوثيـين والأمـين العـام لحـزب اللـه في لبنـان بـين «قواعـد الاشـتباك» القائمـة مـع إسرائيـل وبـين احتـمال اجتيـاح القـوات الإسرائيليـة لمدينـة رفـح.

هـذا يعنـي أن المراهنـة عـلى أن هنـاك ضوابـط حقيقيـة أو قويـة للحفـاظ عـلى حالـة أو معادلـة «حافـة الهاويـة» الراهنـة سـيبقى محفوفا بالخطـر، في ظـل الاندفـاع الإسرائيـلي بالحـرب في قطـاع غـزة «دون ضوابـط» ودون التـزام بالمطالـب الدوليـة، في ظـل الغطـاء الأمريـكي الـذى يحـول دون صـدور قـرار قـوي مـن مجلـس الأمـن يفـرض عـلى إسرائيـل الانسـحاب مـن قطـاع غـزة، ويلزمهـا بالانخـراط في إجـراءات جـادة لقيـام دولـة فلسـطينية مسـتقلة وذات سـيادة عاصمتهـا القـدس الشرقيـة.

ضمـن جديـة هـذا الخطـر هنـاك رهانـات عـلى وجـود فـرص حقيقيـة للحفاظ عـلى معادلـة «الحـرب المحـدودة غـير المبـاشرة» بـين الولايـات المتحـدة وإيـران، مـن أهـم هـذه الرهانـات، مـا يـروج لـه الكاتـب الأمريـكي «تومـاس فريدمـان» عـن مـشروع موسـع لتسـوية الـصراع في الـشرق الأوسـط يعطيـه اسـم «مبـدأ» أو «عقيـدة بايـدن للـشرق الأوسـط» ومـا دعـت إليـه مصـادر إعلاميـة وسياسـية أمريكيـة من ضرورة الانسـحاب الأمريكي من الشرق الأوسـط، وأن هذا الانسـحاب هـو الحـل لمشـاكل حقيقيـة تواجـه التحديـات الاسـتراتيجية- الأمنيـة للولايـات المتحـدة مـن ناحيـة، ولمشـاكل الـصراع وعـدم الاسـتقرار في الـشرق الأوسـط.

أ- عقيدة بايدن للشرق الأوسط

طـرح الكاتـب الأمريـكي المقـرب من دوائـر صنع القـرار في واشـنطن والصديق الحميـم لقـادة كيـان الاحتـلال الإسرائيـلي مقـالاً مهـماً في صحيفـة «نيويـورك تايمـز» الأمريكيـة أفـكاراً تتبلـور حاليـاً عنـد الإدارة الأمريكيـة في الاسـتراتيجية تتعامـل مـع الحـرب متعـددة الجبهـات في الـشرق الأوسـط وتحمـل عنـوان «عقيـدة بايـدن للـشرق الأوسـط» وترتكـز عـلى ٣ مسـارات:

الأول: يقـوم عـلى تبنـي موقـف صـارم ضـد إيـران، بمـا في ذلـك الـرد العسـكري الحـازم عـلى وكلائهـا في المنطقـة. [لاحـظ حـصر الـرد عـلى وكلاء إيـران دون مسـاس بإيـران نفسـها] .

الثـاني: يقـوم عـلى مبـادرة دبلوماسـية أمريكيـة، غـير مسـبوقة، للاعـتراف

بدولة فلسطينية منزوعة السلاح في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بعد قيام مؤسسات فلسطينية ذات مصداقية وقدرات أمنية ، بحيث تكون الدولة قابلة للحياة، ولا تهدد بأي شكل من الأشكال أمن إسرائيل .

الثالث: يرتكز على «تحالف أمني واسع النطاق» بين الفلسطينيين والإسرائيليين والولايات المتحدة والسعودية، بما في ذلك تطبيع العلاقات بين السعودية إسرائيل .

هذه الأفكار نفسها تقريبا يروج لها رئيس وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية «وليام بيرنز» الذى يشارك في أعمال تستهدف إلى التوصل إلى اتفاق هدنة مطولة وتبادل الأسرى بين إسرائيل و»حركة حماس» . هذه الأفكار نشرها بيرنز في مجلة «فورين أفيرز» الأمريكية أكد فيها أن «تجدد الأمل في سلام دائم يضمن أمن إسرائيل، وكذلك إقامة دولة فلسطينية، والاستفادة من «الفرص التاريخية» للتطبيع الإسرائيلي مع السعودية ودول عربية أخرى.

واضح من مجمل هذه الأطروحات مدى التهافت الأمريكي ليس فقط على انقاذ إسرائيل من تداعيات «طوفان الأقصى» وانكسار المشروع الإقليمي الإسرائيلي كله، واجهاض «الحلم الفلسطيني الوليد» لاستعادة الإرادة الوطنية وحق تقرير المصير. فالتركيز كله على أمن إسرائيل، وأن قيام دولة فلسطينية يجب أن تكون مشروطة بالخضوع الكامل لمتطلبات الأمن الإسرائيلي، بدلاً من الاهتمام بشروط تأمين الدولة الفلسطينية المأمولة من مخاطر التهديد الإسرائيلية، من منظور الاختلال الشديد في توازن القوة بين كيان الاحتلال الإسرائيلي ومثل هذه الدولة الفلسطينية المأمولة ، لكن ما هو أهم هو عدم وجود أي فرصة اختيارية الآن لقيام الدولة الفلسطينية، باعتبار أن قيام هذه الدولة سينهي الصراع الإقليمي، في ظل التحولات الشديدة في توازن القوى الإسرائيلية لصالح اليمين التوراتي المتشدد الذى يقوده الآن الثنائي «بن غفير وسموتريتش» وزيرا الأمن والمالية في حكومة نتنياهو اللذان يعدان ، حسب تأكيدات أدلى

بها «إيهـود أولمـرت» رئيـس الـوزراء الإسرائيـلي الأسـبق أنـه «ليـس احتـلال غـزة في المقـام الأول، ولا الاسـتيطان في أرجـاء القطـاع المدمـر.. ليـس هـذا هـو المأمـول لمجموعـة (الحالمـين المسـيحانيين) الذيـن يسـيطرون عـلى الحكـم في دولـة إسرائيـل ، الهـدف هـو الضفـة الغربيـة والحـرم القـدسي». أولمـرت يؤكـد أن «الهـدف النهـائي لهـذه الزمـرة هـو تطهـير الضفـة الغربيـة مـن السـكان الفلسـطينيين وضـم المناطـق (الضفـة وغـزة) لدولـة إسرائيـل».

ب- الانسحاب الأمريكي من الشرق الأوسط

الرهـان الثـاني، إضافـة إلى «الرهـان الهـش» عـلى «عقيـدة بايـدن للـشرق الأوسـط» يراهـن أمريكيـون عـلى خيـار يرونـه حقيقـي وليـس خياليـاً يقـضي بـضرورة الانسـحاب الأمريـكي مـن الـشرق الأوسـط، عـلى نحـو مـا رأت وكالـة «بلومـبرج» الأمريكيـة التـى تقـول أن «عـلى الولايـات المتحـدة الخـروج مـن الـشرق الأوسـط بمجـرد انتهـاء الحـرب عـلى غـزة حتـى تتمكـن مـن المحافظـة عـلى النظـام في أوروبـا وآسـيا». حيـث تـرى هـذه «الوكالـة» أن نحـو ٤٦ ألـف جنـدي أمريـكي متمركزيـن في ١١ دولـة في جميـع أنحـاء الـشرق الأوسـط مـع كل المعـدات والدعـم المصاحـب لهـم، مشـيرة إلى أن هـذه القـوة غـير متوفـرة للولايـات المتحـدة في أي مـكان آخـر، سـواء في أوروبـا أو في شرقـي آسـيا، «حيـث يحتـاج ألـد أعـداء أمريـكا إلى الـردع وأقـرب حلفائهـا إلى الطمأنينـة».

وترتكـز الوكالـة في انحيازهـا لهـذا الخيـار إلى خلاصـة مناقشـات واسـعة معمقـة تـدور في الولايـات المتحـدة بشـأن الوجـود العسـكري الأمريـكي في الـشرق الأوسـط تركـز عـلى «الفرصـة البديلـة»، وتـرى أنـه مـن منظـور «الفرصـة البديلـة» فـإن تركيـز الوجـود العسـكري الأمريـكي في الـشرق الأوسـط لا يخـدم المصالـح الأمريكيـة، حيـث تتفاقـم السـلبيات مقارنـة بنقـل هـذه القـوات الأمريكيـة مـن الـشرق الأوسـط إلى مناطـق الـصراع الحقيقيـة مـن منظـور المصالـح الاسـتراتيجية العليـا للولايـات المتحـدة ، خاصـة أوروبـا حيـث الـصراع الهائـل مـع روسـيا، وفي شرقـي آسـيا حيـث الـصراع الممتـد مـع الصـين.

ومـن منظـور «الفرصـة البديلـة» تقـول الوكالـة أن «الجنـدي الأمريـكي الـذى يحـرس «الـبرج رقـم ٢٢» (عـلى الحـدود الأردنيـة – السـورية الـذى تعـرض لهجـوم مـن حلفـاء إيـران) لا يسـتطيع أن يراقـب في الوقـت نفسـه، حـدود حلـف شـمال الأطلـسي (الناتـو) في إسـتونيا (بالقـرب مـن روسـيا) أو المنطقـة منزوعـة السـلاح في شـبه الجزيـرة الكوريـة، أو الميـاه الضحلـة في الفلبـين في بحـر الصـين الجنـوبي».

المعنـى نفسـه، أي المطالبـة بالانسـحاب الأمريـكي، روجـت لـه مجلـة «ذي أمريـكان كونـز رفاتيـف» في مقـال (نوفمـبر ٢٠٢٣) تحـت عنـوان «عارنـا الوطنـي في العـراق وسـوريا» قالـت فيـه أن القـوات الأمريكيـة تخاطـر بحياتهـا دون داع «بسـبب الشـلل السـياسي والافتقـار إلى الشـجاعة السياسـية». وأكـدت أن إبقـاء القـوات الأمريكيـة في العـراق وسـوريا، «مـن دون مهمـة عسـكرية واضحـة» ، لا يجعـل الولايـات المتحـدة أكـثر أمانـاً، لكنـه «يخاطـر بخسـارة كارثيـة في أرواح الجنـود الأمريكيـين عـلى نحـو قـد يتصاعـد إلى حـرب كـبرى».

مجمـل هـذه الاجتهـادات التـي تجاهـد مـن أجـل تأمـين «رهـان حافـة الهاويـة» أو الهـروب منـه ليسـت إلا مجـرد أفـكار في حاجـة إلى أن تتحـول إلى سياسـات ، وإلى أن يحـدث ذلـك سـتظل المراهنـة عـلى خيـار «الحـرب المحـدودة غـير المباشرة» رهانـاً محفوفـاً بالخطـر، وأن أشـباح «الحـرب الإقليمية الموسـعة» سـتظل تطـارد عقـول كل المعنيـين بأمـر مسـتقبل الأمـن والاسـتقرار في الـشرق الأوسـط، وخاصـة الأطـراف الإقليميـة الـشرق أوسـطية الكـبرى التـى عليهـا أن تسـعى إلى تأسـيس «أمـن إقليمـي شرق أوسـطى» مـن عمـق المصالـح الإقليميـة دون خضـوع لتبعيـة الولايـات المتحـدة التـى تؤكـد الأحـداث يومـاً بعـد يـوم، والكـوارث مـن كارثـة لأخـرى أن إسرائيـل سـتبقى مصلحـة أمريكيـة عليـا لـن تسـمح بالتفريـط فيهـا كـما أكـد الرئيـس الأمريـكي جـو بايـدن ووزيـر خارجيتـه انتـوني بلينكـن